الرسم العثماني وطرائق الالتزام به في المدارس القرآنية

The ottoman way of writing and methods of adherence to it in Quranic schools

طرش لخضر [1]

[1] المركز الجامعي بآفلو (الجزائر)، tourch@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/17 تاريخ القبول: 2022/01/24 تاريخ النشر: 2023/01/27

ملخص:

الرسم العثماني مبحث من مباحث علوم القرآن، وأحد معايير القراءة الصحيحة، ويقصد به الخط الذي نُسخت به المصاحف بأمر من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويتعلق بكيفية كتابة كلمات القرآن وحروفه، وقد اختُلِف في هذا الرسم هل هو توقيفي أم اصطلاحي؟ كما ورد الاختلاف في حكم الالتزام به، وجمهور العلماء والفقهاء سلفا وخلفا على أنه واجب، سواء أقلنا بالتوقيف أم بالاصطلاح، ولا شك في أن الرسم العثماني أمر متوارث من جهتين؛ من جهة الأداء في مواضع معينة، حيث إن رسم الكلمة في هذه المواضع هو دليل أدائها، ومن جهة رسم الخط، إذ إن الرسم يخالف قواعد الإملاء في كلمات محددة، وكذا في كلمات من مواضع بعينها، كما أن في الالتزام به صيانة للقرآن الكريم من أي تبديل أوتغيير.

ويبرز الاعتناء بالرسم العثماني أكثر ما يبرز في مجال التعليم، لذا كان للمدارس القرآنية دور أساسي في الحفاظ عليه والالتزام به، ويتمظهر ذلك في طرائق عدة، أهمها: الإملاء بمختلف أساليبه، والاختبار بشتى صوره، والتنصيص بتنوع لهجاته.

وهذه الورقة البحثية تسعى بالقدر المتاح إلى تأصيل المسألتين الخلافيتين المتعلقتين بالرسم العثماني، والتعرف على أدلة كل فريق، وتسلّط الضوء على الطرائق المنتهجة في التعليم في المدارس القرآنية، والتي أشرنا إليها، للحفاظ على الرسم العثماني، كما تلفت الانتباه إلى قيمة هذه الطرائق وأهميتها.

كلمات مفتاحية: الرسم العثماني، التأصيل، المدارس القرآنية، الإملاء، الاختبار، التنصيص.

Abstract:
The ottoman drawing is one of the topics of the quran science one of the criteria for correct reading.It mean the font in which the quran was copied by the order of the companion Othman Ibn Affan may God be blessed with him.It is about how to write words and letters of the Quran ,There are different opinions about this drawing, wether it is tawqif or Idiomatic? And in the rule of commting to it , and the magority of Scholars and jurists , in advance and Succession, was also mentioned as a duty , we ther we refer to as detention or ter minology , there is no doubt that the ottoman drawing is in herited from both sides ; in terms of perfomance in certain places in the guide to its per formance , and in terms of drawing the line , as drwing violates the rules of Spelling and specific words , as wellas in words from specific places, and in adherence to it, is the maine tenance of the Holy Quran from any Switch or chang.Taking care of the drawing is most prossinent in the field of education , So the Quranic scools played a key rote in preserving it and adhering to it .This research paper sectrs , to the extent possible , to root the two aforementioned contention issues related to the ottoman drawing, to identify the evidqnce of each group , and to shed light or the methods used in education in the Quranic scools, which we reffered , to preserve the ottoman drawing , and also drows attention to the value and importace of these methods
Keywords: Ottoman, drawing, rooting,
Quranic ,scools,dictation ,examining , quatation

[1] **المؤلف المرسل**: طرش لخضر،tourch@cu-aflou.edu.dz

1. مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحابته ومن والاه.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله، تكفل جل وعلا بحفظه، قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9]، ومِن حِفظ الله تعالى لكلامه أن يسّر حفظه في الصدور والسطور، وعُني به

المسلمون أيّما عناية، ولا يوجد كتاب حَظي بوسائل الحفظ غير القرآن الكريم، ومنها جمعه وحفظ رسمه بصون كلماته وحروفه.

ورسم القرآن المصطلح عليه بالرسم العثماني أمر متوارث، تلقته الأمة بالقبول، وأولاه علماء القراءات والتفسير والتجويد وكذا المشايخ وطلبة القرآن عناية كبيرة، ومنها التزامه كتابة وتعليمه وتعلمه بمختلف الوسائل والأساليب.

وهذا البحث الموسوم بِـ**"الرسم العثماني وطرائق الالتزام به في المدارس القرآنية"** محاولة لتسليط الضوء على جانب من هذه العناية برسم المصاحف في المدارس القرآنية عندنا في الجزائر.

فما أهم جوانب العناية بالرسم العثماني من لدن العلماء والدارسين وطلبة القرآن؟

وما مدى أهمية الطرائق المنتهجة في المدارس القرآنية للحفاظ على الرسم العثماني، والالتزام به؟

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال التقرير والوصف وكذا الاستقراء واستخلاص ما يمكن استخلاصه.

ومن الأهداف المتوخاة من هذا البحث التأكيد على ضرورة التقيّد بالرسم العثماني، وإبراز دور المدارس القرآنية في تعليم النشء، والتبيه على قيمة الطرائق المنتهجة فيها في الحفاظ على الرسم العثماني.

وقد تطلب هذا الموضوع أن نبحث فيه أهم عناصره الأساسية وفق الخطة الآتية:

1 ـ الرسم العثماني؛ مفهومه ومسائله: 1 ـ 1 ـ مفهوم الرسم العثماني. 1 ـ 2 ـ مسائله.

2 ـ جمع القرآن وأصل الرسم العثماني: 2 ـ 1ـ جمع القرآن ومراحل جمعه. 2 ـ 2 ـ أصل الرسم العثماني.

3 ـ أهمية الرسم العثماني وحكم الالتزام به: 3 ـ 1 ـ أهمية الرسم العثماني. 3 ـ 2 ـ حكم الالتزام بالرسم العثماني.

4 ـ منهجية المدارس القرآنية في الالتزام بالرسم العثماني: 4 ـ 1 ـ الإملاء وأثره في إحكام رسم كلمات القرآن. 4 ـ 2 ـ الاختبار وفاعليته في الاهتمام برسم المصحف. 4 ـ 3 ـ التنصيص ودوره في تعليم الرسم العثماني.

2. الرسم العثماني؛ مفهومه ومسائله:

توارثت الأمة جيلا بعد جيل الأخذ بالرسم العثماني، وذلك من جهة أداء التلاوة في مواضع معينة، وكذا من جهة الإبقاء على أصل الخط فيما خالف فيه قواعد الإملاء في كلمات محددة، وكذا في كلمات من مواضع بعينها. وهي مسائل هذا العلم.

1.2 مفهوم الرسم العثماني:

الرَّسْمُ **لغة**: الأثر، وقيل: بقية الأثر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو ما لصق بالأرض منها، ورسْم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض، والجمع: أرسم ورسوم، ورسَمَ الغيثُ الدارَ: عفَّاها وأبقى فيها أثرا لاصقا بالأرض، ورسَم على كذا ورشَم: إذا كتب. (ابن منظور، صفحة 241)

والعثمانيّ: نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه.

والرسم العثماني **اصطلاحا**: الخط الذي كتبت به المصاحف بأمر من سيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو"علم تعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصل الرسم القياسي (الفوتي، صفحة 13)"، والرسم العثماني يتعلق بكيفية كتابة الكلمات والحروف فقط، أما ما يتعلق بنقط الإعجام والشكل بالحركات والسكون ووضع الهمزات فيصطلح عليه بالضبط، والضبط إنما استحدث فيما بعد للحاجة إليه، فالمصاحف العثمانية كانت تخلو من مسائل الضبط.

والرسم العثماني على قسمين: قياسي واصطلاحي، وأكثر خط المصاحف قياسي، أي موافق لقوانين الإملاء، لكنه قد جاءت أشياء خارجة عن ذلك يلزم اتباعها، ولا يتعدى إلى سواها، منها ما يمكننا معرفة سببه، ومنها ما يغيب عنا (ابن الجزري، صفحة 128).

2.2 مسائله:

مسائل الرسم العثماني هي المسائل التي خالف فيها الرسمَ القياسي، وتنحصر في ستة أقسام: الإثبات، والحذف، والإبدال، والوصل، والفصل (القطع)، والهمز.

فمخالفة الرسم العثماني للرسم القياسي إما بنقصان كحذف الألفات والياءات، وإما بزيادة كزيادة واو أو ياء أو ألف، وإما ببدل كإبدال واو أو ياء من الألف، وإما بفصل ما حقه الوصل، وإما بوصل ما حقه الفصل، (الفوتي، صفحة 13 14) وإما برسم الهمزة على خلاف القاعدة القياسية ككتابتها على السطر في أكثر المواضع إذا سبقت بساكن وإن كانت مفتوحة.

3. جمع القرآن وأصل الرسم العثماني:

مِن حِفظِ الله تعالى للقرآن الكريم أن يسّر حفظه في الصدور والسطور، وعُني به المسلمون أيّما عناية، ومنها كتابته وجمعه، وحفظ أصل رسمه.

1.3 جمع القرآن ومراحل جمعه:

جمع القرآن يطلق تارة ويراد منه حفظه واستظهاره في الصدور، ويطلق تارة أخرى ويراد منه كتابته كله حروفا وكلمات وآيات وسورا، هذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور. (الزرقاني، 1995، صفحة 197)

وجَمْع القرآن بمعنى كتابته مرّ بثلاث مراحل:

ـ المرحلة الأولى: جمع القرآن كتابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتّابا للوحي من الصحابة، كعليّ، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وغيرهم، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تُظاهر الكتابةُ في السطور الجمعَ في الصدور، كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن الأدوات التي كانوا يكتبون عليها: العُسُب، واللِّخاف، والرِّقاع، وقبض الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن مكتوب في الصحف. (الزرقاني، 1995، صفحة 202 203)

ـ المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إذ قام أبو بكر الصديق بإشارة من عمر بن الخطاب بتكليف زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعا بتتبع القرآن وجمعه، وذلك بعد موقعة اليمامة بين المسلمين وأهل الرِّدَّة من أتباع مسيلمة الكذاب، والتي استحرّ (اشتد) فيها القتل بقراء القرآن، (البخاري، 2016، صفحة 2272) قال زيد: "..فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُبِ واللِّخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ انفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}** حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر"، (البخاري، 2016، صفحة 2272) ومعنى قوله: "لم أجدها مع أحد غيره": أي لم أجدها مكتوبة مع أحد غيره، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، وكان هذا الجمع في غاية التحرّي والدقة، والمقصود بهذا الجمع جمعه مرتب الآيات والسور، بعد أن كان مفرقا في الرِّقاع والأكتاف والعُسُب. (السيوطي، 2011، صفحة 156)

ـ المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه: فبعد اتساع الفتوحات تفرق القراء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر بقراءة من وفد إليهم، وقراءات القراء تكون أحيانا مختلفة، وكان إذا ضم الناسَ مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب بعضهم من وجوه هذا الاختلاف، وذلك يؤدي أحيانا إلى الشك أو تخطئة بعضهم بعضا، فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحريف والتبديل، وأجمعوا على نسخ الصحف التي كانت عند أبي بكر وجمعها في مصاحف وتعميمها على الآفاق، قطعا لدابر

الاختلاف، وكان هذا الجمع سنة خمس وعشرين للهجرة، وقام بهذه المهمة أربعة من الصحابة، وهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، بأمرٍ من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم، (الزرقاني، صفحة 210) فعن أنس "أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيدَ بن ثابت وعبدَ الله بن الزبير وسعيدَ بن العاص وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق". (البخاري، 2016، صفحة 2272)

2.3 أصل الرسم العثماني:

الرسم العثماني كما جاء في حديث أنس السابق عبارة عن نسخ الصحف التي كانت عند أبي بكر وجمعها في مصاحف وتعميمها على الآفاق، والصحف التي كانت عند أبي بكر إنما هي بخط الصحابة كَتَبة الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهده، واختلف العلماء في الرسم أي الخط الذي كتب به القرآن ونسخت منه المصاحف العثمانية، هل هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم أم باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم واصطلاحهم؟

فذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن رسم المصاحف توقيفي، واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر كُتّاب الوحي على كتابتهم، ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكَتْبة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل، ثم جاء عهد أبي بكر فكُتب القرآن بهذا الرسم في صحف، ثم جاء عهد عثمان فاستُنسخت تلك الصحف في مصاحف على الكَتْبة الأولى. (الزرقاني، 1995، صفحة 310)

وذهب آخرون إلى أن رسم المصاحف اجتهادي اصطلاحي، وليس بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وممن ذهب هذا المذهب الباقلاني، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة الوحي، ولم يبين لمن يأمرهم وجها معينا من الكتابة، ولا نهى أحدا عن كتابته، (الزرقاني، 1995، صفحة 312 313) كما هو رأي ابن خلدون، حيث صرح بأن الصحابة إنما رسموا المصحف بخطوطهم، وكانت

غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، (ابن خلدون، 2004، صفحة 122) وانتصر للقول باصطلاحية الرسم العثماني بعض الدارسين المحدثين، كصبحي الصالح (صبحي الصالح، 1977، صفحة 179)، وغانم قدوري الحمد (غانم قدوري، 2016، صفحة 48)، مع تنبيهه على ضرورة عدم الخلط بين القول بوجوب اتباع رسم المصاحف، والقول بأن ذلك الرسم توقيفي. (غانم قدوري، 2016، صفحة 46)

وقد رد كثير من العلماء والدارسين على هذا الرأي، وبخاصة ما ذهب إليه ابن خلدون من أن خطوط الصحابة لم تكن مستحكمة في الإجادة.

وتبقى هذه المسألة خلافية، والخلاف فيها مستساغ ومعتدّ به، إلا أن القول باصطلاحية الرسم العثماني لا يعني بالضرورة القول بعدم وجوب الالتزام به.

4. أهمية الرسم العثماني وحكم الالتزام به:

الرسم العثماني مبحث من مباحث علوم القرآن، اعتنى به علماء القراءات والتفسير والتجويد في مؤلفاتهم، ولأهميته كذلك أفرده بعضهم بمؤلفات خاصة.

1.4 أهمية الرسم العثماني:

للرسم أهمية بالغة، إذ تعد موافقته أحد شروط القراءة الصحيحة، فقد نص أهل هذا الفن على أن شروط القراءة الصحيحة ثلاثة، وهي أن يتواتر سندها، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وأن توافق العربية مطلقا، قال ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها"، (ابن الجزري، صفحة 09) أما القراءة التي تخالف رسم المصحف، وإن صح سندها، فإنها شاذة، ولا تجوز القراءة بها، إلا أنه يمكن أن يستفاد منها في العربية، كما نص على ذلك الفقهاء.

كما أن العلم بالرسم تتوقف عليه صحة التلاوة، حال الوقف والابتداء، وذلك في مواضيع الحذف والإثبات والقطع والوصل، وهو ما يصطلح عليه بالوقف على مرسوم الخط، كالفرق مثلا بين الوقف على "رحمة" بتاء مربوطة، والوقف على "رحمت" بتاء مفتوحة، فيوقف على الأولى بهاء ساكنة، وعلى الثانية بتاء ساكنة، عند جمهور القراء، إلا إذا كان منطوق الألفاظ يخالف مرسومها.

ولأهمية الرسم القرآني فقد أولاه علماء التفسير والقراءات والتجويد عناية كبيرة في مؤلفاتهم، كما أفرده بعضهم بمؤلفات خاصة، ولم يكتفوا بإحصاء ما خالف القياس من حذف وزيادة وفصل ووصل

وبدل، بل حاولوا استنباط بعض القواعد من خلال الإجماعات على الرسم في بعض المسائل، وهذه القواعد قد تكون مطردة، وقد تكون غالبة.

ومن ذلك ما جاء في كتاب المقنع للداني (الداني أبو عمرو، 2010، صفحة 220)من حديثه عن الإجماعات المتعلقة بالرسم، وما ذكره الزركشي في البرهان (الزركشي، 2006، صفحة 267)من مسائل الرسم المطردة، وما أورده السيوطي في الإتقان (السيوطي، 2011، صفحة 830) من قواعد مستخلصة مما أُجمع عليه من مسائل الرسم.

فمن قواعد الحذف حذف الألف من ياء النداء نحو: {يَـأَيُّهَا النَّاسُ}، و{يَـرَبِّ}، وبعد لام نحو: {خَلَـئِفَ}، و{خِلَـفَ}، وبعد لامين نحو: {الْكَلَـلَة}، ومن كل عَلَم زائد على ثلاثة نحو: {إِبْرَهِيم}، ومن كل جمع على (مفاعل) وشبهه نحو: {الْمَسَـجِد}.

والمقصود بحذف الألف هنا أنها محذوفة رسما (خطا) فقط في المصاحف العثمانية، لا لفظا، لذلك نجدها في المصاحف التي بين أيدينا، ولكنها غير متصلة بالحرف الذي قبلها، فكلمة {خِلَـفَ} تقرأ {خِلَافَ}.

ومن قواعد الزيادة زيادة ألف بعد الواو آخر اسم مجموع نحو: {أُوْلُواْ الَالْبَابِ}،

ومن قواعد البدل كتابة الألف بالواو للتفخيم نحو: {الصَّلَوة}، و{الزَّكَوة}.

4.2 حكم الالتزام بالرسم العثماني

جمهور العلماء والفقهاء سلفا وخلفا على أن الالتزام بالرسم العثماني واجب، وحكي الإجماع على هذا، ونُسب إلى بعضهم القول بعدم الوجوب، وذهب بعض الدارسين إلى القول بأن الاختلاف مبني على الاختلاف في الرسم القرآني، أهو توقيف أم اصطلاح؟، وهذا القول فيه نظر، بل هو غير صحيح، فالقول بتوقيفية رسم المصاحف يستدعي القول بوجوب التزامه، ولا يستدعي القول بعدم التوقيف عدم وجوب الالتزام به، لأن المصاحف العثمانية أقرها الصحابة، وتلقتها الأمة بالقبول، كما أن موافقتها هي أحد شروط القراءة الصحيحة كما أسلفنا.

سئل الإمام مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكَتْبة الأولى، قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة (الداني أبو عمرو، 2010، صفحة 164 165)

وقال الإمام أحمد: يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك. (الزركشي، 2006، صفحة 260)

وقال البيهقي: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فإنهم أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم. (الزركشي، 2006، صفحة 260)

5. منهجية المدارس القرآنية في الالتزام بالرسم العثماني:

المدارس القرآنية عبارة عن دور لتحفيظ القرآن وتعليمه، يقوم عليها ويؤطرها مشايخ ومعلمون حُفّاظ لكتاب الله، ومتقنون لرسمه وضبطه، وهي بمثابة مؤسسة تعليمية، ومحضن تربوي، وللمدارس القرآنية طرائق عدة في تعليم القرآن أداء ورسما وضبطا، وأهم هذه الطرائق المتبعة: الإملاء مع التصحيح، والاختبار، والتنصيص.

5.1 الإملاء وأثره في إحكام رسم كلمات القرآن:

الإملاء يُتعلم به رسم القرآن وكيفية ضبطه، وإجادة الكتابة وتحسين الخط، والغالب أن كل من انتظم إلى الكتاتيب تعلم كتابة اللوح بالإملاء، ويصطلح عليه باللغة الدارجة بِـ"الفَتْي"، ولعل المقصود بهذا المصطلح الدارج أن الطالب عندما يقرأ القطعة التي كتبها ويُسمعها الشيخ كأنه يستفتيه، فمن مزايا الإملاء أنه "يتكفل بتربية العين عن طريق الملاحظة والمحاكاة في الإملاء المنقول، وتربية الأذن بتعويد التلميذ حسن الاستماع وجودة الإنصات، وتمييز الأصوات المتقاربة لبعض الحروف، وتربية اليد بتمرين عضلاتها على إمساك القلم، وضبط الأصابع، وتنظيم تحركها" . (عبد العليم إبراهيم، صفحة 09)

والإملاء طريقة متبعة في المدارس القرآنية قديما، ولا زالت منتهجة في الزوايا وبعض المدارس، وهي أن ينتظم الطلبة الممحوة ألواحهم مع الشيخ في حلقة، وذلك في الفترة الصباحية، وعلى كل طالب في بداية الأمر أن يكتب ما يعرف برأس اللوحة، ينقله من آخر الجهة الأخرى للوح، حتى يربط بين آيات السورة الواحدة، أو يكتب بداية السورة، ثم يُسمع كلُّ واحد منهم الشيخَ ما كتبه، وهذا الإسماع يعني طلَبَ الإملاء، فيملي عليه الشيخ، وذلك بحسب قدرة استيعابه، وعند الإملاء يوضح له رسم الكلمة إن كانت تخالف قواعد الإملاء، وقد يكتفي الشيخ بالملاحظة، فإذا أخطأ الطالب نبّهه وصحّح له الكتابة، وإذا لم يتمكن الطالب المبتدئ من كتابة الكلمة صحيحة فيتولى الشيخ كتابتها بيده.

وفي بعض المدارس يكلف الشيخ الطلبة الحفاظ عنده بالإملاء على غيرهم، وكأن هؤلاء الطلبة الحفاظ مجازين من الشيخ ضمنيا في الإملاء، فيكوّن كل طالب حافظ حلقة صغيرة من الطلبة ويتولى الإملاء عليهم بالمنهجية التي ذكرناها.

وبعد الانتهاء من كتابة الألواح تأتي مرحلة التصحيح، فيصحح الشيخ لكل طالب ما كتبه، وينبهه أثناء التصحيح على الاعتناء بالرسم والضبط، وعلى كل طالب أن يقرأ ما كتبه مباشرة بعد التصحيح.

وهناك طريقة أخرى في الإملاء يمكن أن تستغل في المدارس الحديثة، وأعتقد أنه معمول بها، وهو الكتابة على السبورة، بأن يتم الإملاء من الشيخ والكتابة من أحد الطلبة، وبقية الطلبة يستمعون لإملاء الشيخ، وفي الوقت نفسه يلاحظون ما يكتب على السبورة، ويشتركون في تصحيح الرسم والضبط.

وطريقة الإملاء بأساليبها التي ذكرناها لها أثرها البارز في إحكام رسم كلمات القرآن، وكذا إتقان ضبطه، ومن خلالها يمكن للطالب أن يتعلم الكتابة الصحيحة، ويتقن التلاوة، لأن الطريقة المطلوبة في تعلم القرآن متحققة فيها، وهي الاستماع والإسماع، أي الاستماع إلى قراءة الشيخ، وإسماعه القراءة.

5.2 الاختبار وفاعليته في الاهتمام برسم المصحف:

الاختبار أسلوب تحفيزي وتقويمي، وإذا ما تعلق الأمر بتعليم رسم المصحف فإنه من خلاله يتم رفع همم الطلبة في الاعتناء بالرسم القرآني وضبطه، كما يتم التعرف على مستواهم التحصيلي في هذا الموضوع.

وفي دُور تعليم القرآن يتم الاختبار في موضوع الرسم وكذا الضبط بصور عدة، منها:

ـ تنظيم مسابقات في رسم القرآن وضبطه، على مستوى المدرسة الواحدة، ويقوم عليها شيخ المدرسة، أو على مستوى مدارس البلدية، ويؤطرها الأئمة واللجان الدينية والجمعيات، أو عبر الولاية، كالمسابقات التي تنظمها مديريات الشؤون الدينية والأوقاف.

ـ إلقاء الأسئلة على الطلبة في مجالس الإملاء والتحفيظ والاستظهار، كأن يختبر الشيخ الطلبة مثلا في إحصاء المواضع التي وردت فيها كلمة "**رَحْمَت**" بتاء مفتوحة، وكيف تقرأ إذا وقف عليها اضطرارا أو اختبارا.

ـ اختبارهم مثلا في استحضار النص المتعلق برسم كلمة معينة، أو في شرح النص، مع تحديد الكلمة في السورة أو الربع أو الثمن.

والاختبار أو التعليم بالأسئلة "يعتبر أداة طيبة لإنعاش ذاكرة الطلاب، ولجعلهم أكثر فهما"، (جمال بن ابراهيم القرش، 2012، صفحة 151) لذا فإن لهذه الطريقة أهمية في تعليم الرسم، إذ من خلالها يتم شحذ الهمم في العناية به، وترسيخ مرسوم الخط في الذهن، والتعرف على مستوى طلبة المدارس القرآنية، وتحسين مستواهم فيما يتعلق بإحكام رسم القرآن، وإتقان ضبطه.

5.3 التنصيص ودوره في تعليم الرسم العثماني:

المقصود بالتنصيص هنا إيراد ما يصطلح عليها بـ"الأنصاص"، والأنصاص جمع قلة لِـ"نص" وهو مصطلح شائع عند المشايخ وطلبة القرآن، والأنصاص "عبارة عن قواعد منظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة ينظمها الفقهاء لتلامذتهم بطريقة عفوية، وبلغة عامية أحيانا، أو على شكل الشعر الملحون، من أجل تقريب الكلمات التي تقع فيها الأخطاء عند كتابتها" (العروسي عبد العزيز، 2006، صفحة 99 100)، وكذا قراءتها، فهي "تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها، كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير، والحذف والإضافة، مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم، إما بواسطة السور، أو بواسطة الأحزاب والأرباع والأثمان". (العروسي عبد العزيز، 2006، صفحة 99)

وكان لدُور التعليم بالمغرب دور كبير في تداول الأنصاص والحفاظ عليها، وكذا الحال لدور التعليم القرآني بالجزائر، أو على الأقل في بعض الزوايا والمدارس القرآنية.

وموضوع الأنصاص ليس الرسمَ العثماني فحسب، كما يتضح من التعريف الذي أوردناه، وإنما يتعداه إلى الضبط وكيفية الأداء والمتشابهات اللفظية وغيرها.

وفي المدارس القرآنية تتنوع الأساليب وتختلف في تعليم الرسم العثماني وغيره والمحافظة عليه بطريقة الأنصاص، ففي بعض المدارس يلزم الشيخ طلبته بكتابة الأنصاص على اللوح وحفظها، كما يعمد بعضهم إلى قراءتها جماعيا لترسيخ الحفظ أكثر، وأحيانا يتم التذكير بالنص الذي يتعلق برسم كلمة معينة من القرآن عند الإملاء، وكذا سؤال الطلبة عن رسم كلمات معينة وعن النص المقيد لها.

ومن الأمثلة على الأنصاص المتعلقة بالرسم ما يأتي:

النص (العروسي عبد العزيز، 2006، صفحة 145):

وعوضنَّ الألف بالواو منقلبا ثمانيةٌ قال الراوي

مشكَوة والنجَوة مع منَوة كذا الربَوا وحرف الغَدَوة

وكيفما الحيَوة والصلَوة كيف أتت وأختها الزَكوة
ما لم تكن بمضمر متصلة فألف بالثبت خذها فائدة

ونظمها الخراز بقوله: (الخراز، صفحة 26)

وهاك واوا عوضا من ألف قد وردت رسما ببعض أحرف
والواو في منَوة والنجَوة وحرفي الغدَوة مع مشكَوة
وفي الربَوا وكيفما الحيَوة أو الصلَوة وكذا الزَكوة
ما لم تضفهن إلى ضمير فألف والثبت في المشهور

الشرح:

في النصين ضبط للكلمات التي تنقلب فيها الألف واوا، وهي ثماني كلمات: مشكاة، والنجاة، ومناة، والربا، والحياة، والصلاة، والزكاة، ما لم تكن مضافةً إلى ضمير، ولم يرد منها مضافا إلا الحياة والصلاة، نحو: حياتنا، وصلاتهم، فتثبت فيها الألف.

النص: (العروسي عبد العزيز، 2006، صفحة 175)

وزد ألفا خطّا قبل ذال لأاذبحن ملائه يا لاخوان ولو جمعا نزلا
بعد شين لشايء لدى الكهف يا أخي وتايءسوا من روح بعد التاء تلا
استيءسوا منه بسقط الألف استيءس الرسل فافهم واعرف

الشرح:

في هذا النص تحديد لكلمات زيد فيها الألف في الرسم، وهي غير منطوق بها، وهذه الكلمات هي: لأذبحنه بزيادة الألف قبل الذال، وملئه بزيادة الألف قبل الهمزة، ولشيء في سورة الكهف بزيادة الألف قبل الياء، ولا تيأسوا، وييأس بزيادة الألف قبل الياء الساكنة في الكلمتين، وهذا بخلاف استيءسوا واستيءس فلا تزاد فيهما الألف.

وجاء في مورد الظمآن للخراز:

وهاك ما زيد ببعض أحرفِ من واو أو من ياء أو من ألفِ
فمائة ومائتين فارسمن بألف للفرق معْ لأاذبحن
ومع لكنّا لشايء وهما في الكهف وابن وأنا قل حيثما
لا تايءسوا يايءس وقل عن بعضهم في استايءسوا استايءس أيضا قد رسم

والمقصود بزيادة الألف في "أنا" عند الوصل، لا الوقف، فعند الوقف عليها تثبت خطا ولفظا باتفاق، وكذلك بشرط أن لا تليها همزة مفتوحة أو مضمومة عند المدنيين أبي جعفر ونافع، وفيها الوجهان إذا تلتها همزة مكسورة عند قالون، قال ابن الجزري: "قرأ المدنيان **{أَنَا أُحْيِي}** بإثبات ألف **{أَنَا}** عند الهمزة المضمومة حيث جاء، وكذا عند المفتوحة نحو: **{وَأَنَا أَوَّلُ}**، واختلف عن قالون عند المكسورة نحو: **{إِنْ أَنَا إِلَّا}**، وصح الوجهان جميعا عنه من طريق أبي نشيط، وبهما قرأ الداني على أبي الفتح، وبالقصر على أبي الحسن، وبه يأخذ من طريق الحلواني، وبذلك قرأ الداني عند الهمزات الثلاثة". (ابن الجزري، 2004، صفحة 179)

كانت هذه أمثلة عن تعليم الرسم العثماني والالتزام به بطريقة **الأنصاص**، وهي منهجية لها دور بارز في هذا الموضوع، لسهولة استحضارها بعد حفظها، وبخاصة إذا استشكل الأمر في رسم الكلمات التي تختلف كتابتها من موضع لآخر في القرآن الكريم، نحو: رحمة، ورحمت، وأَلَّا، وأَن لَّا، إلا أنه ينبغي للمشايخ والطلبة انتقاء النصوص عند تتعددها في المسألة الواحدة، فينتقى السهل وغير المعقد، ويقدم الفصيح على الدارج، ويعتنى أكثر بما يخالف القياس، ويكون له أثر في كيفية التلاوة.

6. خاتمة:

من خلال ما تقدم من مباحث هذا الموضوع يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

الرسم العثماني هو الخط الذي كتبت به المصاحف بأمر من سيدنا عثمان رضي الله عنه، ويتعلق بكيفية كتابة الكلمات والحروف فقط، أما ما يتعلق بنقط الإعجام والشكل بالحركات والسكون ووضع الهمزات فيصطلح عليه بالضبط، والضبط إنما استحدث فيما بعد للحاجة إليه، فالمصاحف العثمانية كانت تخلو من مسائل الضبط. والرسم العثماني على قسمين: قياسي واصطلاحي، وأكثر خط المصاحف قياسي، أي موافق لقوانين الإملاء، وما خرج عن هذه القواعد هو محل بحث العلماء واهتمامهم.

جمْع القرآن في عهد عثمان بن عفان تم بنسخ الصحف التي كانت عند أبي بكر وجمعها في مصاحف وتعميمها على الآفاق، والصحف التي كانت عند أبي بكر إنما هي بخط الصحابة كَتَبَة الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهده، واختلف العلماء في الرسم أي الخط الذي كتب به القرآن ونسخت منه المصاحف العثمانية، هل هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم أم باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم واصطلاحهم؟ والخلاف في هذه المسألة مستساغ ومعتدّ به.

القول باصطلاحية الرسم العثماني لا يعني بالضرورة القول بعدم وجوب الالتزام به، فالقول بتوقيفية رسم المصاحف يستدعي القول بوجوب التزامه، ولا يستدعي القول بعدم التوقيف أي بالاصطلاح عدم وجوب الالتزام به، لأن المصاحف العثمانية أقرها الصحابة، وتلقتها الأمة بالقبول، كما أن موافقتها هي أحد شروط القراءة الصحيحة، فجمهور العلماء والفقهاء سلفا وخلفا على أن الالتزام بالرسم العثماني واجب، وحكي الإجماع على هذا، ونُسب إلى بعض العلماء القول بعدم الوجوب.

المدارس القرآنية عبارة عن دور لتحفيظ القرآن وتعليمه، يقوم عليها ويؤطرها مشايخ ومعلمون حُفّاظ لكتاب الله، ومتقنون لرسمه وضبطه، وهي بمثابة مؤسسة تعليمية، ومحضن تربوي، وللمدارس القرآنية طرائق عدة في تعليم القرآن أداء ورسما وضبطا، وأهم هذه الطرائق المتبعة: الإملاء مع التصحيح، والاختبار، والتنصيص.

طريقة الإملاء بأساليبها لها أثرها البارز في إحكام رسم كلمات القرآن، وكذا إتقان ضبطه، ومن خلالها يمكن للطالب أن يتعلم الكتابة الصحيحة، ويتقن التلاوة، لأن الطريقة المطلوبة في تعلم القرآن متحققة فيها، وهي الاستماع والإسماع، أي الاستماع إلى قراءة الشيخ، وإسماعه القراءة، وطريقة الاختبار لها أهميتها كذلك في تعليم الرسم، إذ من خلالها يتم شحذ الهمم في العناية به، وترسيخ مرسوم الخط في الذهن، والتعرف على مستوى طلبة المدارس القرآنية، وتحسين مستواهم فيما يتعلق بإحكام رسم القرآن، وإتقان ضبطه. كما أن تعليم الرسم بالتنصيص أي بطريقة الأنصاص منهجية لها دور كبير في هذا الموضوع، لسهولة استحضارها بعد حفظها، وبخاصة إذا استشكل الأمر في رسم الكلمات التي تختلف كتابتها من موضع لآخر في القرآن الكريم.

هذا ما أمكننا إيراده واستخلاصه بحسب ما تيسر لنا، والله أعلى وأعلم، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.

7. قائمة المراجع:

1. البخاري، أبو عبد الله، 2016، صحيح البخاري، البشرى، باكستان.
2. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت0
3. تقريب النشر في القراءات العشر، 2004 ، دار الحديث، القاهرة،.
4. القرش، جمال بن إبراهيم ، 2012 ، مهارات التدريس الفعال، دار النجاح للكتاب، الجزائر.

5. الخراز، محمد بن محمد الأموي، مورد الظمآن في رسم القرآن.
6. ابن خلدون ،ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، 2004 ، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي، دمشق.
7. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، 2010 ، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، دار التدمرية، الرياض.
8. الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1995 ، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي،بيروت.
9. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 2006، البرهان في علوم القرآن.
10. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 2011 ، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت.
11. الصالح، صبحي،1977 ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت.
12. إبراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب.
13. العروسي، عبد العزيز العيادي، 2006 ، الأنصاص القرآنية.
14. الحمد، غانم قدوري، 2016، الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة.
15. الفُوتي، أحمد مالك حماد الأزهري، مفتاح الأمان في رسم القرآن، الدار السنغالية، داكار، السنغال.
16. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة.
17. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت.